المار کست حمیعاً، کما لو کانت

السعادة، ناضل من أجلها البشر

أو لم يناضلوا من أجلها، تنتظرهم

في نهايـة الطريـق. والتعبـير الثاني

هـو: كلمـة المستقبـل الـذي يبـدو،

لزوماً، مغايراً للحاضر، بما يعينه

مخلّصاً كريماً، يساوى بين الشعوب

العاملة والشعوب الخاملة. ولهذا

يقول: "إننى أعتبر أن اليوتوبيا

تشــكل ضــرورَّة في كل عمــل سياسي يرمــي إلى تغيير الواقــع ص: ١٦٠".

والقول صحيح، لأِن "اليوتوبيا"،

هي اللامكان، وأنّ اللامكان هو

اللأزمان، وأن اللامكان واللازمان هما

حاضنتا المستقبل العربي، الذي يظل

غافياً في مكان ما. أمّا الكلمة الثالثة،

وهى من الموروث الماركسي أيضاً،

فتتمثل بر "المجتمع الكوني"، الذي

كان كونياً في زمن استعمار البلدان

العربية، وتغيّر وتبدّل وبقي كونياً،

ىعد "استقلالها"، مقررا في الحالات

حميعاً أن زمن المجتمع العربي قائم

داخـل الزمن الكـونى وخارجـه: فهو

داخله بسبب التبعية والاستهلاك

الأراء الــواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لاتتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

خلافاً لنقيضهم الذي يقول بهوية

متغيرة متطورة، هوية هي دائما

في طور التكوّن، فيقول: "الهوية و الخصوصية، هما، بالنسبة إلى أي

شعب، حاجة طبيعية له. لكن المساءلة في المالغة التي تجعل من الإنسان

المسلم متفرداً لا علاقة له ببقية

البشر، كما لـو كان هو المؤمن الوحيد

والبقية "كفرة". تتضيمن المبالغة هذم

عنصرين: أولهما "مهزوم فقير

يسعى إلى "الستر" و "الأمان' ً و ثانيهماً انغلاق فكري يستنكر مبدأ

المقارنة والحوار مستبدلاً بالتعرّف

على "الأخر" أبلسته وتحويله إلى

يظل كريم مروة وهو يطرح سؤال

الخصوصية والهوية واقفا أمام

إشكاله الأول: هزيمة النَّهضة، التي

جاءت من إلغاء السياسة، وأفضى

استنقاعها، إلى ظواهـ متعددة، منها

اختراع "الخصوصية والهويـة'

وتقديس تراث مخترع أيضاً. وما



هــل يسمــح الواقع العربي بالحديث عـن المستقبل؟



ماذا يقول كريم مروّة في كتابه: "في البحث عن المستقبل" ؟ وماذا يمكن أن نتوقع منه أن يقول قبل قراءة كتابه؟

ليس في السؤال الثاني ما يثير الفضول لأربعة أسباب في الأقل؛ فللأستاذ مروّة أكتر من خمسة عشر كتابا، عالج فيها موضوعات نظرية ـ سياسية متنوعة، منذ أن نشر "كيف نواجه الأزمة في حركة التحرر الوطني العربية" عام ١٩٧٤، وصولا إلى "الفكر العربي وتحولات العصر" عام ٢٠٠٦، مـروراً بـ "حوار الأيديولوجيات بين أفكار الماركسية وافكار دينية"-١٩٩٧ ـ و "من ذاكرتي الفلسطينية"-١٩٩٨ ـ وإذا كان تعبير "أزمة حركة التحرر" قد بدا، في مرحلة راحلة، تعبيراً متفائلا، قائلا بأزمة يمكن تجاوزها، فإن انتصار الأزمة، التي أنتجت مجتمعا عربيا تآلف مع استنقاعه، جعل السيد مروّة يعود إلى تعبير قديم: النهضة، بلغة معينة، أو التنوير بلغة أخرى. ولعل مآل الأزمة، التي لم تعد أزمة، هو الذي وضع على قلمه تعبير: "تحولات العصر"، مفسراً الاستنقاع العربي بغفوة طويلة، تضع العالم العربي في زمن وما خارجه في زمن آخر، سمته التحوّل والتغيّر واحترام العقل والإنسان.

د. فيصل درّاج



يستمد السؤال الثاني شرعيته من مجلة "الطريق" اللبنانية، التي عاشت حوالي ستة عقود، وأشرف عليها، في العقود الأخيرة، السيد كريم مروّة، بعد أن حوّلها إلى "مركز فكري" متعدد الأصوات يسائل قضايا الثقافة والسياسة والأدب، من وجهة نظر نقدية، تطمح إلى التحريض والاستنهاض أو تحلم ب"نهضة أخرى"، بلغة أدق. بدت "الطريبة" في سنواتها الأَخيرة صوتاً رومانسياً، يصاول استفزاز عقل عربى اقترب من الشلل. يتمثل السبب الثَّالث، وهو الأكثر وجاهة، في التاريخ السياسي. الأيديولوجي . التنظيمــى لمؤلـف الكتاب. فقـد بـدأ مروة الشاب قومياً عربياً، استفزّه سقوط فلسطين، فاعتنق الماركسية وأصبح شبوعياً، مصالحاً بين قوميته وماركسته ومصالحاً، على مستوى العقل والضمير، بين ماركسية قومية وتربية دينية، تلقاها في أسرة شيعية، وحَدت بين التديّن والتسامح، وبين التسامح المتديّن والقضايا الاجتماعية والوطنية. ولعل هذا الالتزام المتعدد العناصر، الذي يمدّ صاحب بالطمأنينة و الثقة، هو الذي جعل مروة شيوعياً منذ شبابه، وقائداً شيوعياً في الكهولة والشيخوخة، وماركسياً في المراحل الثلاث وما تلاها.

و لا تنقصه الطرافة: استقال كريم مروة في "أوج كهولته" من قيادة الصزب الشيوعي اللبنياني وضرج الى "الطريق"، متمسكاً بماركسية تنزع إلى الليبرالية ومقترباً من ليبرالية تقول بـ "الاشتراكية"، ومعتنقاً "مساحة بيضاء" لا تطمئن إلى الماركسية ولا إلى الليبرالية معاً أراد الرجل أن يتصرّر من "عادات عُقائدية أ، مقتنعاً أن البحث عن الحرية يستلزم تصورات حرة. اختلف في خياره "الطريف" عن ماركسيين أثروا "الستر" أو "الاعتكاف"، أو الأمرين، فتناسوا ما كانوا يقولون به، وتابعوا حياة هادئـة لا تميل إلى القضايا النظرية". بل إن بعضهم اتهم "التاريخ" بالفسق والفجور، وظل يردّد ما حفظه من عقود، كما لو كانت حياة النظرية لا علاقة لها بالحياة. بدا كريم مروة، المتفائل الغيور على تفاؤله، شبيهاً بالباحث السعيد، الذي يتأبط بحثه إلى نهاية الطريق. وهذا البحث عن معنى الحقيقة والحياة هو الذي يمدّه، الدوم، بحيوية فائقة تلغي الفرق بين الشباب والشيخوخة، أو تكاد. إذا حاول القارئ التخفف من

أمّا السبب الرابع فيثير الفضول

موضوعات الكتاب المتعددة والمتنوعة، وحاول النفاذ إلى سؤاله الأساسي، وجد نفسه أمام موضوع جوهري هو: النهضة في العالم العربى، أسباب سقوطها وطبيعة القوى التي تعمل على توطيد نقيضها، ودور "النهضويين الجدد" في العمل على توليد نهضة جديدة. يقُول مروة: "أخشى أن أكون متعسفاً

أو ظالماً إذا ما اعتبرت أن المسؤولية عن فشل حركة النهضة لا تنحصر فى القوى الخارجية وحدها، ولا في الحركات السلفية...، إن الذين اعتبروا أنفسهم، بحق أو بغير حق، ورثة تلك الحركة وورثة أفكارها، هم الذين بدّدوا منجزاتها بالسياسات التي سلكوها..."، "إنهم يتساوون جميعاً في المسؤولية عن ذلك الانهيار الكبير لمشروع النهضة الثانية في

١٩٦٧، وما تقول به العقول النقدية

الواضحة. يتكشَّف الأمر الثاني

في نقطة مضيئة، تقرر بأن هذه

الأحزاب مارست سياسات خاطئة، أو

مارست السياسة عن طريق نقيضها،

أخذة بوسائل العنف والانقلابات

العسكرية وعدم الاعتراف المتبادل.

والواضح الأساسي أن هذه الأحزاب

مارست شيئاً "يشية السياسة" أفضى

إلى تدمير دلالتها، في حقبة معينة،

وأسس لتدمير شروطها في حقبة

أنجزت "الأحزاب الثورية" مفارقة

مؤسية، حين عهدت إلى الحزب

السياسى المفترض تدمير السياسة

مبرهنة، أنها لم تكن أحزاباً، ذلك أن

السياسة تشكّل عنصراً داخلياً في ا

لمارسة الحزيدة، مثلما أن الحزَّب

ظاهرة حديثة تجمع بين السياسة

والديمقراطية. ولعل ممارسة

السياسـة عـن طريـق إلغائهـا هو في

أساسس الانقلابات العسكرية، التي

الحديث نيابة عن الشعب، وصولاً

إلى تدمير الأخير والاستغناء عنه.

وعلى هـذا فإن "الانقـلاب العسكري"

لم يكن طريقاً إلى الثورة والتثوير

الاجتماعي، ولا درباً إلى تحريـر

فلسطين، بل كان في جوهره العميق

التعبير الأدق عن القيم التقليدية

المتخلُّفة، التي تقول بأحادية الرأي

وسطوة الأب وبالمراتب والتفاوت

بين البشر وترفض المساواة،

وتختصر الأحراب إلى ولاءات قبلية

وعشائرية وجهوية.. ومع أن مروة

بدا مصيباً في أطروحته القائلة

أوكلت إلى "النخب السياسية

.108.107

خمسينيات القرن الماضيى... ص تتضمن هذه الفكرة أطروحة الكتاب الأساسية، التي تتوالد منها أفكار متنوعة وأطروحات ثانوية تقول: تشكُّلت النهضة العربية الأولى، إن صح التعبير، في فترة الكفاح الوطني ضد الاستعمار، وأجهزت عليها الأحراب القومية والشيوعية، التي صعدت في خمسينيات القرن الماضي منتسبة "زوراً" إلى النهضة الأولى. والسؤال الأول الذي يحرّض عليه اجتهاد الأستاذ مروة هو التالى: إذا كانت "الأحراب الثورية" المفترضة وتضحياتها الكبيرة. قد أجهزت على النهضة الأولى، (التي سبقت الاستقلال) وقادت إلى

تُدميّر "ألنهضة الثانية"، التي أعقبت الاستقالل، فما هي الملامح النهضوية في المشروعين القومى والشيوعي؟، ومًا هي الأفكار الأساسية التي استعارها "النهضويون الثانويون من النهضويين الأول؟ ومع أن مروّة يترك الجواب معلقا في الفضاء، أو لا يقاربه أصلاً، فهو يقرّر أمرين أساسيين: رفض تحميل التدخل الاستعماري وحده وزر الإخفاق العربي، متفقاً مع ما جاء به صادق العظم في كتابه: "النقد الذاتي بعد نحن فیه. ص: ۱۷۲" الهزيمة"، بعد هزيمة حزيران عام

يصل مروة إلى تناقض مجزوء، أملاه عليَّه "تفاؤله التاريخي"، فيجمع بين القول ب"تراجع المجتمع المدني" والقول بأزمة شاملة متوّجةً

الوطن والمجتمع . قسّم مروة بين "الانحطاط"، الذي جاءت به أحزاب نهضوية زائفة أجهزت على النهضة، أو جاءت به دولة الاستقلال الوطني"، بلغة على أومليل، وبين إعادة إنتاج الانحطاط، أو "الأزمة البنيوية" المغلقة، الذي تكفلت بتوطيدها وتطويرها "أيديولوجيات دينية"شعبوية مختلفة. ماير الكاتب، في مواقع متعددة من كتابه، بين المنظومة الدينية في ذاتها التي تحتمل قراءات مختَّلفة، وبين "الأيديولوجيا الدينية"، التي قوامها استعمال الدين وإساءة استعماله، من أجل أغراض سياسية، كما مايز بين "القوى الدينية المستنيرة" صل ١٧٨، و القوى الدينية المغلقة"، التي تنتج الكتل العمياء" المسلوبة الإرادة. حاذر، في أكثر من مكان، قصر "الكتل العمياء" على بعض القوى الدينية، مستضيئاً بالحركات الشعبوية الفاشية، التي تميّرت بالانقياد الأعمى الذي "يجعل المواطنين رعايا، مجردين من الوعى، مسلوبي الإرادة، يسيرون إلى حيث يراد لهم ويقرّر عنهم، من دون أن يدركوا،..، أنهم معنيون بالمشاركة في كل ما يتصل بالوطن والدفاع عنه، ومعنيون بالبحث عن الطريق الذي يحدّد له

بالسياسية الحزبية التي تلغي الحزب و السياسـة معا، فإنه لم يتوقف، كثيرا أمام التحوّلات التي تصيب "القوى الحزبية" بعد وصولها إلى السلطة، قيم الاستبداد مرجعاً للمجتمع. ولا أمام ما دعي بـ "دولـة الاستقلال الوطني"، التيّ أجهزت بأدواتها لخُصى مروة ما أراد أن يقول بكلمة السلطوية على الشعب والسياسة "الرعايــا"، التي هي صفة الجماعاتٍ

> وهو ما انتبه إليه المفكر المغربي على أومليل، حين حلَّل أسساب هزيمة النهضة العربية. وواقع الأمر أن حرص السيد مروة على إدانة القوميين والشيوعيين معا والمجانسة الكليـة بينهما، دفعـه إلى قصر حديثه على الأحراب وعدم التوقيف الكافي أمام مسألة الدولة، علماً أن بين وجود الأحزاب في السلطة ووجودها خارجها فارق كبير. بل إن تدمير الحركة اليسارية في مصر يفسّر بالعسف السلطوي الذي يتجاوز سياسة الأحزاب "التي تسيء إلى معنى السياسـة"، وتخترع مجتمعات وهمية بأدوات نظرية متخيّلة، دون أن يلغى هذا نضالها وأحلامها

> اتكاء على أطروحته الأساسية، القائلة بالانهيار الشامل للمشروع النهضوي العربي، يصل مروة إلى أطروحة ثانويـة لاحقة، حيث يقول: "تولدت، من جرّاء ذلك، ظاهرات سياسية واجتماعية من نوع ما نشهده في أيامنا هذه،...، وأدى العجز المتراكم إلى تراجع دور المجتمع ا لمدنى والدولة،...، وأصبح المجتمع كله أسير أزمة عامة، أزمة بنيوية. إذا صبح التعبير والتفسير. أزمة هي الشكل الراهن لعصر الانحطاط الذي

وإذا كان القول المجزوء بتراجع المجتمع المدني يحتاج إلى تفسير أطول، فإن الأزمّـة الشاملة المعيشة لا تحتاج إلى تفسير، فهي واضحة في العجز المتبادل بين السلطة والمجتمع، أو في "استنقاع الأزمة" إن صبح التعبير، الذي يفضى، تاريخيا ومنطقيا، إلى سيرورة بطيئة من التفكك والانحلال، تتجلى في حركات دينية ومذهبية وطائفية وقبائلية وجهوية، أي في كل ما يبدد معنى

مستقبله ويحدد لهم مستقبلهم فيه. ص" ٧٧"... وواقع الأمر أن مصطلح

الكتل العمياء"،الذي يبدو اليوم

صادماً، قد قال به، بلغة أخرى،عبد

قال به وهو يفصل بين تصورين للتراث ينطبق بدوره على الهوية والخصوصية، حيث المبالغة تصورً يفصل، وهمياً، بين "العالم العربي وخارجه ويعمل، فعلياً، على إيقاف حركة التاريخ واستبداله بـ "تاريخ الرحمن الكواكبي، قبل أكثر من مئة عام، حين تحدّث عن التجانس بين المستبديان والمستبدّ بهم، حين تطول فترة الاستنداد كثيراً، بما يجعل من

والاختلاف وما ينصّب الهرمية

الصارمة مبدأ للعلاقات الاجتماعية،

إذ "الحر الوحيد" أي ذروة السلطة،

وإذ ما تبقى هم "الرعايسا"، وما بين

الندروة والقاع أجهزة تعيد إنتاج

"الأعلى" و"الأسفل".. لهذا فمن العيث

الحديث عن "الكتل العمياء"، من

دون التوقيف الكافى أميام السيرورة

السلطوية التي استبدلت بـ"الأحزاب

النهضوية" كتـــُلا جماهيرية، مشغولة

بالتحليـل والتحريم. فلـم تكن هذه

الكتل العمياء" ممكنة من دون

هندسة قمعية للمجتمع وأجهزة

مدرسية إتباعية، وإيديولوجيا

دينية سلطوية، لا ترى خارج

'الحق السلطوي" لحقا.

مروة أمام بعضس

القضايا الأساسية

مثل:الـتراث، الهوية،

القومية العربية،

دور المثقف. فهو

يميّز في النظر

بين موقفين:

طرف يستحضرا

الماضى، في ضوء

حِركة التاريخ، ليؤكد

أن ثمة تواصلا في

هذه الحركة، وأن

الانتقال من حقبة إلى حقبة

إنما يحمل معه الانتقال من فكر

إلى فكس آخر جديد معاصر،...

ص: ٣٥"، وطرف أخر يذهب

إلى التاريخ لأنه "يعجز عن تقديم

الجواب عن الأسئلسة التي تطرحها

عليهم أحوال بلدانهم البائسة،... ص:

٣٤". تضيف العودة إلى الماضي، إلى

بؤس الراهن بؤساً جديداً، لأنها، و

بسبب غياب وعيها التاريخي، عاجزة

عن قراءة الماضي والحاضر معاً. غير

أن إجابة مروة لا تكتمل إلا بالتذكير

د "الانحطاط" المسيطر، الذي يهمّش

الموقف العقلاني من التراث، ويمدّد

مساحة الموقف غير التاريخي، الأمر

الذي يجعل الماضِي السند الانحطاط

المعاصس، عوضاً عنَّ أن يكون أداة في نقده وتجاوزه. ذلك أن القديم لا يقرأ

إلا بمعرفة جديدة، بدلاً من قراءة

الظواهر الجديدة بأفكار قديمة، وإلا

فقد العلم معناه، ولم تعد هناك حاجة

لطلبب العلبم، طالما أن في "الماضيي

يتابع مروة مساره مع "ثنائية المركز

والهامش"، إذ الهامش هو النهضوي

المهزوم والمركزما يعيد إنتاج هزيمته،

كى يصل، بداهة، إلى موضوع الهوية،

حيث أنصار الماضي يعتبرون الماضي

المجهول وحده هوية منجزة مكتملة،

علماً صالحاً لجميع الأزمنة.

التراث

مفهوم

يتوقف

اعتمادا على مفهوم

'الأزمـة البنيويـة"، أو

الانحطاط

الأستاذ

متوّهم" لا وجود له. ومع أن مروّة لا يفصّل كثيرا في إجاباته، فإن ما قال به يطرح، ضمنياً، السؤالين التاليين: ما هي الخصوصية التي يقول بها "الخصوصيون"، في الشروط العربية الراهنة، وما هي تلك الهوية التى لا يرضون عنها بديلا؟ إن ما المستبد بها، التي لم تصبح شعباً، يختص به العالم العربي اليوم ولم تدخل بعد في فضاء المواطنة هو:الاستبداد والفساد واتحطاط والمواطنين. ومهما كانت حدود النظام التعليمي وهبوط القيم الإصابة والخطأ في تحليل مروة، فإن الرعايا، كما "الكتل العمياء"، والتصور العشوآئي للعالم... وما هويته المفترضة إلا هوية سكونية لا تفسر بالشعبوية، دينية كانت مغلقة هي هوية المهزوم، الذي يقاتل أو غير دينية، ذلك أن هذه الحالة، في مشتقاتها المختلفة، محصلة من أجل تأبيد هزيمته وتحصينها،... يتمثل المأساوي، كاملًا، في فاعلية للممارسات السلطوية، في بلدان "التصورات الماضوية"، التي لا ترفع تكتسح فيها الأجهزة السلطوية هزيمة ولا تسعف مجتمعاً، بل توطد المجتمع كله. فإذا كان في "الكتال هزيمة المجتمع المهزوم، وتشد من العمياء" ما يترجم: غياب الفرد إزر السلطات التي أسست للهزيمة. والمحاكمة المستقلة وهيمنة الامتثال وبسبب هذه الهزيمة المزدوجة يظل المطلق ورفض نسبة المعايير وعدم تحريِـر فلسطـين" شعـاراً موسمياً الاعتراف بالأخر والتمسك بالمظاهر الشكلانية وصولاً إلى "التكفيرا فارغاً، باستثناء جهود كفاحية تعنى أكثر من حصار، أكبرها حصار وتأثيم المعرفة وزندقة العلوم، فإن في الممارسات السلطوية المستحدة الشعب الفلسطيني في غزة. المستديمة ما يلغى النقد والحوار

عنسه عبسد الرحمسن

الكو اكبـي،

الاستعمار الخارجي. واكتشفتها في زمن القمع وإهدار المواطنة. يرد حديث مروة، في شجونه كلها، أدار مروة حديثة الواسع المتشابك إلى جدل انهيار النهضة وديمومة السلطات المستندة، حيث الاستنداد النموذجي، الذي تحدّث

حول ثنائية: سقوط النهضة وسيطرة الدولة المستبدة، واشتق منها مواضيع متعددة تخترقها مقولة "الانحطاط"، إذ التصور المنحط للتراث يهزم نقيضه، والخصوصية المنحطة تلغى العقل وتغتال العقلاني، وإذ الانحطاط يخترق الثقافة والمثقفين،.... عثر على البديل في ثلاث مقولات: إعادة الاعتبار للسياسة، الديمقراطية، والمجتمع المدنى. غير أن إجاباته المفترضة هي أسئلــة أكثر منهـا إجابات: كيف يمكنّ توليد السياسة في فضاء احتماعي مقموع ينوس بين سلطة قامعة وبدائل سياسية و "جماهيرية" تعيد إنتاج القمع السلطوي بعد تحصينه بالمقدسس؟ ما هـو دور الثقافة المحتمل . في مجتمعات أفقرت اقتصادياً وسياسيا وثقافيا وجماليا تنوس، مرة أخرى، بين "ثقافة الفرجة المنحطة وثقافة تراثية مرورة تدور حول التحليل والتصريم والتكفير والتبريك؟ كيف تأتى الديمقراطية إلى مجتمعات أضافت سلطاتها إلى الموروث العثماني" كل تقنيات القُمع التي سمح بها التقدم التقني العالمي؟ ومن أين يأتي المجتمع المدني إلى مجتمعات أتقنت صناعة "الجماعة المتجانسة"، علماً أن الديمقراطية هي السياسة، وأن الأخيرة لا تنفصل عن "الفرد" الحر في خياراته، وأن المجتمع المدنى محصلة للديمقراطية السياسية

إلى:استراتيجيـة التفاؤل، التي تعني

الانتقال من الواقعي إلى المرغوب،

ومن الملموس إلى المجرّد. يتجلى ذلك

فى ثلاثة تعابير تخترق الكتاب من

أولـه إلى آخره: حركـة التاريخ، التي

تعهد إلى "مجهول" بما يجب أن يقوم

به "معلوم"، لا وجود له على أية حال.

ومع أن مروة يقول: "إن الإطلاق ترف

فكري لا علاقة لله بالنضال من أجل

تحقيق السعادة للبشر. ص:

١٩ "، فإن تمسكه بالسعادة

المفترضة يعيده إلى

"المفهسوم الغائسي

جـزء مـن

الحديثة جميعها: فلا مواطنة و لا ما

يسمح بحقوق المواطنة، ولا معرفة إلا

بما يسوّغ الأمر القائم ويهزم نقيضه

ولا مكان، إلا صدفة، للوعى القومي،

الذي هو أحد تجليات الحداثة

الاجتماعية. ولذلك يرفض مروّة مقولة

"مجتمع عربي" ومقولة "مجتمع مدني

عربي"، مسوّغاً ذلك باختلاف "تكوّن

المجتمعات العربية، وطرق تطوّرها،

وفي أنظمـة الحكم فيهـا. ص: ١٨٢".

ومع أن في كلامه جزءا من الصحة،

فهذه الصحة مجزوءة وملتبسة،

وذلك لسبب ن: تتفسّر هشاشة الوعى

القومى العربى، أولاً، بالممارسات

السلطويـة، التـي حوّلـت الشعب إلى

رعية، كما أشار الأستاذ مروة، وب

الممارسيات السلطويية القطريية"

التى اختصرت المصالح الوطنية

والقومية إلى مصالح سلطوية. ذلك

أن التباين بين بلد عربي و أخر، الذي

أنتجه التاريخ كان من الممكن تجاوزه

بواسطة التاريخ ذاته، في حال وجود

حياة سياسية ديمقراطية. يقول

مِروّة: "رغم اعتراضي على مقولة

مجتمع مدني عربي"، فإنني أحب

أن أقول إن بلداننا العربية، بالمفرد

وبالجمع، محكومة بأن تتطور في

الاتجاه الذي تصبح فيه جزءا من

والسؤال الضيروري هو التالي: إذا

كانت "بلداننا" محكومـة أن تصبح،

بالضرورة، جزءاً من هذا العالم

(فعِل التاريخ)، ألم تكن قابلة لولا

تُخلُّف السلطات أن تصبح، رغم

خصوصياتها، بلداً قومياً عربياً

واحداً له خصوصياته المختلفة؟ إن

سعى مروة إلى الموضوعية يدفعه

إلى تغليب الخاص على العام، في

الشأن القومى العربى، خاصِة أنهِ

يرى البلدان العربية، مستقبلاً، جزءاً

من العالم، دون أن يستطيع أن يراها

كلا قوميا واحداً. والأساسي في هذا

كله أن اختلاف الأقطار العربية جاء

به التاريخ وأعادت إنتاجه الأنظمة،

عوضاً أن تتجاوزه. وكذلك حال

سو الاعلاية والأقلية" الذي لم

يصبح سؤالا ملتهبا إلا في زمن

انحطاط "دولة الاستقلال الوطني"،

ذلك أن ما يدعى "أقليات"، وهي

تسمية مريضة كريهة، لم تكتشف

"خصوصياتها" خالل الكفاح ضد

العالم المعاصرص: ١٨٤ .

التابع، وهو خارجه على مستوى القيم وحقوق الإنسان. يتعين مروة، ظاهرياً، ماركسياً وليبرالياً في أن: ماركسي لأنه يؤمن بغائية التاريخ، وهو ليبرالي يتحدث عن الديمقراطية والمجتمع المدنى وحقوق المواطنة وكونية القيم،... لكنه وهو يبدو علىما يبدو عليه إنسان وتحقق شروط المواطنة ويمكن أخر، يلوذ بالتفاؤل ويتحصن وراء: اللايقين. ولهذا يهرب من الإجابات اختصار هذا كله في وضع "الدولة الو اضحة، باستثناء الشأن اللبناني، العربية" الضعيفة، التي تحجب ضعفها بأجهزتها السلطوية المتعددة، ويؤثر الاحتمال أو الفرضيات العامة. يجيء "اللايقين"، ربما، من ذلك أن تحقق المجتمع المدنى، أي بؤس الحالة العربية، ويجيء، ربما، الاعتراف بالمجتمع وبحقوقه، برهان كردٌ فعل على "علموية ماركسية" عن قوة الدولة ومؤسساتها. تعود، بهذا المعنى، مقولة "الأزمة الشاملة"، سابقة، أمنت بأن "النظرية" لا تقول إلا الحقيقة، وأن النظرية الحقيقية التي تحدّث عنها مروة، التي تعبّر عن تهندس البشر والعوالم، كما تشاء. تهافت السلطة والمجتمع معا، طاردة لكن مروة، في ماركست اللسرالية المستقبل الموعود، الذي يبشر به وليبراليته المتمركسة، يظل فكرا مروّة، إلى مجال غير منظور. ديمقراطياً عقلانياً يقظاً، يدافع عن ولعل هذا الوضع المعقد البائس، الذي الثقافة ويمارس دور المثقف، ويبني يداوره ويصاوله المؤلف بشكل لأ وحدة السياسة والثقافة على أساس تعوزه التناقضات، هو الذي يقوده،

تتكشَّف فضائل الكتاب الأساسية في أربعة وجوه: السعى إلى تقديم رؤّية شاملة للواقع العربيّ في أسباب انهياره وتجلياتها واقتراح بديل محتمل، شجاعة التجدّد الفكري الذي يرى في التجربة الذاتية المأضية عنصرا داخلياً في تجربة لاحقة واضحة كانت أو ناقصة الوضوح، التذكير الضروري بالماضى النهضوي القريب، الـذي يحاول القمع المتواتر أن يغيّب وتصوّره القوى الظلامية المُكمّلة له "أنحرافاً شنيعاً عن أصول الأمة". أمّا الوجه الأخير، وهو أكثرها إشراقاً واستدعاء للاحترام فيتمثل بما يمكن أن يدعى بـ "اليأس المقاتل"، حيث اليأس يربك القول وروح القائل، والقتال يردع اليائس ويواجه اندفاعه القاتل. إنسان يبحث عن المستقبل وقد شارف على الثمانين، ومثقف نهضوي هزمت نهضته ويبحث عن بديل، وماركسى أخفقت قضيته ويسائل أطيافها هادئاً.. في هذا البحث الذي يواجه الزمن بشباب الأمل، تكمن جمالية كريم مروة.رغم هـذا كله هناك سؤ الأن: ما موقع الاشتراكية، وهي مقولة سياسية أيديولوجية، في النسق الفكري الليبرالي الذي قول به مروة الذي يضمن مقولات: حقوق الإنسان، الديمقراطية، المجتمع المدنى، حرية الاعتقاد،... وغيرها من الأفكار الليبرالية؟ ما هسو المعنى الراهن للمفاهيم الماركسية الكبرى: المادية التاريخية، صراع الطبقات، حزب الطبقة العاملية، وحدة النظرية والممارسة،...؟

في عام ١٨٣٤ حلم المصري رفاعة رافع الطهطاوي بسعادة البشسر وبامرأة تحتكم إلى التربية الفاضلة لا إلى شرعية الحجاب، وفي عام ٢٠٠٩، يواصل اللبناني كريم مروة حلم المصري الذي سبقه، مبرهناً أن الحلم الذي تطارده الكوابيس، يواصل الطريق.

اراء وافكار **Opinions & Ideas**

١ . لا يزيد عدد كلمات المقالة على ٧٠٠ كلمة.

٢. يذكر اسم الكاتب كاملا ورقم هاتفه وبلد الاقامة ومرفق صورة

Opinions112@ yahoo.com

٣. ترسل المقالات على البريد الالكتروني الخاص بالصفحة:

ترحب أراء وافكار بمقالات الكتاب وفق الضوابط الآتية: